

الى قلب ام حزينه ووالد تمنى وحيثئذ تحل السكينه والهدو يحل القلاقل
والاضطرابات فانت قادرة ايتها الفتاة على جعل مهد نشأتك بهجة في عين
الناظرين . على ان هذا كله لا ينسيك باقي واجباتك ولا يجعلك تشمتين
بأنفك الى العلاء ولو تيقنت ان العائلة شديدة الحاجة اليك والى مساعيك
لانك سبب غبطتها وداعي رفايتها
نجيب المندراوي



الفتاة المصرية

تدافع عن وطنها بشجاعة

سنة ٦٤٠ م و٣٥٦ للشهداء و١٨ للهجرة

صفحة من صفحات التاريخ (١)

لما افتتح العرب مصر كان احد ولايتها المدعو جرجس المقوقس (٢) قد منى
عليه زمن طويل وهو في وظيفته مما جعله قوي الساعد نافذ الكلمة خصوصاً وانه
كان مقبلاً على بابلون (٣) اخر حدود ولايته من الشمال مما جعل رعيته تنظر اليه
كأنه ملكها المطلق لا يفوقه ملك او امبراطور ومع أن الفرس برحوا مصر واحتلها
بعدهم الرومانيون واقاموا حاميتهم وجنودهم في بابلون وبني سويف والفيوم فلم يكن
سكان الصعيد يهتمون بهم أو يحسبون لوجودهم حساباً وكانوا لا يعرفون اذا كانت
هذه الجنود فارسية او رومانية لانهم لا يختلطون بهم ولا يسألون عنهم ماداموا يدفعون
الضرائب الى واليهم وهو شأنه يتصرف فيها كما يشاء . وهذه الخطة في تصريف
الجزية هي التي ألجأت المقوقس الى خيانة وطنه .

(١) عن تاريخ الامة القبطية (٢) والى مدينة بابلون ومعني المقوقس: العظيم

(٣) مدينة قديمة تباه مدينة ممفيس من الشمال على شاطئ النهر

وبعد إن ظل عدة سنين يستحوذ عليها ويقيها لنفسه جاءه هرقل ملك الرومان يضايقه بطلب الجزية وتنفيذ الاوامر الرومانية في البلاد التي استردها من الفرس .
 فلهذا السبب ولأسباب أخرى سياسية ارسل المقوقس وفد الى محمد البعاص زعيم المسلمين وزوده بهدايا من عسل نحل وعدد عديد من العيد الارقاء

ولكن لم يمر الزمن الذي فيه يضمن المقوقس النجاح حتى مات محمد ورفع هرقل راية سلطته على مصر . فخاف هذا الخائن المائن واسقط في يده لانه اذا دبث الحياة في جسم المملكة الرومانية ونادت قوتها تتجدد بعد الاحتضار وتغلبت على العرب كما قهرت الفرس فلا ريب فان قصاص المقوقس يكون مثل ذنبه مريعا هائلا .
 وحدث في ذلك الوقت أن جيش هرقل اشتبك مع العرب في معركة كبرى بفلسطين فصار جرجس يتربص هذه الحرب علما منه ان مصر تأول لمن يخدمه السعد ويحوز النصر من الطرفين . ومن مميزات المقوقس انه ذا وجهين يتلون كالخرباء ويتقلب كيف شاء ولسان حاله يقول « انا مع الغالب »

فلما انتصر هرقل على العرب في موقعة فلسطين ظن جرجس ان النصر سيكون حليفاً لهذا الامبراطور . ولذلك سعى في التقرب اليه والتماق له عساه يتناسى عدوانه وطعمه فدبر الطريقة الآتية وهي : انه كانت له ابنة بارعة في الجمال اسمها ارمانوسة . فخطر في باله ان يزوجه بتسطنطين ابن هرقل الاكبر وريثه

فامهرها بصداق وفير جعل هذا الامير الذي كان حاكماً في قيصرية ان يقبل طلب جرجس ويتنازل عن المتأخرات الباقية عليه من ضرائب مصر التي لم يدفعها للخزينة الامبراطورية

ففي سنة ٦٣٩ م سارت هذه العروس المصرية من بابليون بأبهة الملكات وفخفة جداتها المصريات يحف بها جيش جرار ويمشي في ركبها امراء واقبال حتى بلغ مقدار الفرسان الذين كانوا في موكب زفافها الفا فارس او يزيدون . عدا العيد والهدايا النفيسة والعطايا الفاخرة التي تليق بعروس مصرية لعريس روماني . ولكن عند ما وصلت هذه الانسة الحسنة الى حدود مصر وكادت تعبر القنطرة

« عند الاسماعيلية » الى العريش بلغها ان الغلبة كانت حليفة للعرب الذين شددوا الحصار على قيصرية وهم يستعدون للهجوم على مصر . فلما طرق هذا الخبر اذان سلمية رعميس وابنة فرعون وكريمة اولئك الاجداد الكرام الذين دبوخوا العالم من قبل طرحت حلى العرس وزينة الفرع وتقلدت بالسيف بدل الوشاح ولبست الدروع بدل الدماج وتمنطقت بمعدات الهلاك بدل احزمة الذهب المرصعة باللالى . ونزلت من مركبتها وامتطت متن جواد أشهب . وقالت للذين يسرون معها هيا بنا نخضب ايدينا بدماء الاعداء بدل تخضيب الاوانس ونشرب بمجامعهم عوضاً عن شربنا بكاسات الذهب وطاسات الابريز

« تعالوا نشنف اذاننا بصلصلة السيوف وصليل الخيل بدل وقع الدف ورنه العود » سيروا بنا نحو الاعادي وهناك اذا وقعت العين على العين وحيي فطيس الحرب وعلا سير الطعن والضرب وتقابلت مع الفرسان تجدوني ان اردد ما قاله عترهم الاسود وانا فتاة يضاء بضاء وغادة هيفاء غضة »

اذا كشف الزمان لك القناعا ومدّ اليك صرف الدهر باعاً
فلا تخشى المنية والتقيا ودافع ما استطعت لها دفاعاً
ولا تختار فراشاً من حرير ولا تبك المنازل والبقاعا
وجيند كرت اربانوسة راجعة الى بليس في نفر من رجالها واخذت تستعد للدفاع
وصد هجمات الاعداء ثم ارسلت باقي الجنود التي كانت تسير في حراستها الى جهة
الاسماعيلية اذ ظنت ان العرب قد يجيئون من هنالك . وبعد ان استمكت جميع
هذه المعدات للدفاع عن وطنها ارسلت اباهم بالخبر وظلت هي في بليس
تدور على السكان مشجعة اياهم ضد الاعداء

وبعد قليل هجم عمرو بن العاص على الاسماعيلية واخذها ثم تقدم على بليس وحاصرها

ولكن اربانوسة وقفت في وجه قواته مدة شهر من الزمان وهي تدفعهم وتصدّهم
وتحترق صفوفهم وتفل جموعهم وتشت شملهم . وبقيت على هذه الحالة وهي تشيد

الموقعة بعد الاخرى وتبلي في الاعداء بلاء تحسناً حتى يثس عمرو من الانتصار
وضجر من هذه الباسلة القوية فأغار على بليس دفعة واحدة خسر فيها خسارة كبرى
ولكنه تغلب عليها لان جيش ارمانوسة لم يكن جيشاً منظماً مدرباً بل كان جماعة من
الفلاحين جمعهم للقتال والنزال

وبعد ان دخل عمرو بليس وقعت ارمانوسة اسيرة في يده ولكنه ارسلها بكل
احترام وتبجيل اما لانه اعجب بشجاعتها وبسالها او لانه خاف ان يؤذيها فيسيء
الى والدها صديقه الحميم الذي ثبت لديه الآن ان العرب هم الذين سوف يأخذون
مصر بلا محالة

ولما وصلت ارمانوسة الى ابيها سألتها عما فعلت فاجابته قائلة :

اقت بالذوايل سوق حرب وصيرت النفوس لها متاعا
حصاني كان دلال المنايا فخاض عابها وشرى وباعا
وسبني كان في الهيجا طيباً يداوي كل من يشكو الصداعا
اذا الابطال فرت خوف بأسى ترى الاقطار باعاً او ذراعاً
فكظم ابوها غيظاً منها لانها قاومت الذين تعاهد معهم ان يعطيهم وطنه غنيمة
باردة بدون حرب او عطاء

ولم يستطع تويخها او تعنيفها لانه كان لا يزال تحت حكم الرومانيين ولم تصر
مصر الى ايدي العرب

فألمي الى هذه القصة التاريخية الجميلة يا ابنتها القارئة العزيزة ويا ايها القاري
الحكيم التي تمثل هيئة وجمالة فتاتاً منذ ١٢٦٨ سنة تلك الحالة التي ربما لا تحصلين
عليها ولن تحصلي عليها الا في الاجيال الآتية بعد التعليم والترقية المستمرة بلا
انقطاع تأملوا يا خضرات الافاضل الى شجاعة تلك الفتاة الشريفة سليمة رعمسيس
التي فضلت الدفاع والكفاح في ميادين الحرب لحفظ بيضة وطنها فوق كل ترهف
وبذخ فضلاً عن الغنى والثروة التي كانت لها

ايتها الفتاة المضطربة فتاة العصر افهني عينيك وانظري وقارني عصرك عصر

الحرية والنور بعصر تلك الشريفة عصر الظلم والشقاء وقارني نفسك بتلك الفتاة الياسلة تري نفسك مقصرة كفى التقصير في تأدية الواجبات الوطنية ومتأخرة كل التأخير ومنحطة غاية الانحطاط. نسبة لظروفك وظروفها وعصرك وعصرها. تفكري وابحثي في أيامها المملوءة بالاضطراب والعذاب لظلم الملوك الذين كانوا يستولون على بلادنا الواحد بعد الآخر

رويت هذه القصة التاريخية على فتاة هذا العصر راجية منها ان تقتدي بتلك الآنسة الفيورة على وطنها وتعمل جانب من هذه الشجاعة بين افئدتها. ايتها العزيزة انا لا اعني بك ان تشجعي وتقومي للحرب : كلا : لانه لا سبب ولا داع من ذلك ونحن الآن والحمد لله في عصر ملوء الحرية والعدل والنور. كما أيد ذلك في قوله المرحوم قاسم بك امين اذ قال « نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا اظن ان مصر رأت ما يماثلها في اي زمن من ازمانها » لكن الاقتداء الذي اعنيه لك ايتها الاخت هو ان تشجعي في المطالب العادلة التي ترومينها ويرومها كل مخلص وهو طلب حقوق تعليمك بالعلوم المفيدة والاداب الصحيحة . اعني بك ان تحاربي الجهل الذي انت عليه الآن الموجب للخرافات والخزعبلات المستولية على كثير من السيدات المصريات . ان تحاربي الكسل والخمول لكي تعرفي واجباتك نحو ربك . نحو جنسك . نحو وطنك . نحو عائلتك . نحو بيتك :

هذه هي العادات والمطالب التي بسببها جئت اليك بهذه القصة راجية منك ان تحاربيها . لانها عدوة للادب والشهامة عدوة للعلم والتهذيب . عدوة للشجاعة والمرورة :

فلو تقدمت الى الامام وماربت جميع هذه الابطال بكل قوتك تنكسر امامك جيوش هذه الاعداء ألا وهي جيوش الجهل والخمول والانحطاط فتضمحل وتزول ويستولي عوضاً عنها العلم والادب والشهامة والمرورة التي هي خصال المرء الحميدة . فدعوني اقول هلم ايها الفاضلات نخدم الله والحرية والوطن ت . حنين

تلميذة بمدرسة الامريكان
بالقاهرة